دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

تأملات في قيامة المسيح
-٥-

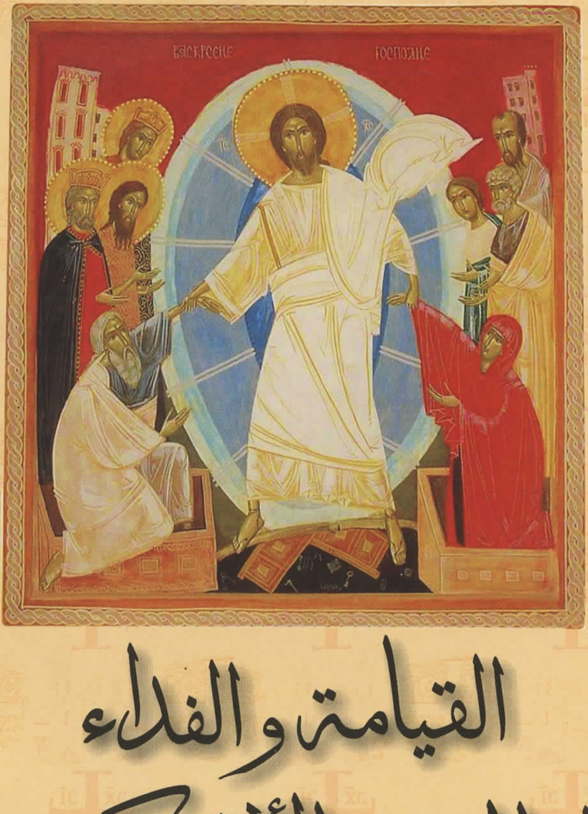

القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي

الأب متى المسكين

«وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية.» (مر١٦: ٩)

«لا تلمسيني، لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو٢٠: ١٧)

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

تأملات في قيامة المسيح

- ٥ -

القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكسي

الأب متى المسكين

كتاب: تأملات في قيامة المسيح (٥).
القيامة والفداء في المفهوم الأرثوذكس (١٩٧٨).
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ٢٠٠٢
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧
الطبعة الثالثة: ٢٠١٢
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون
ص.ب ٢٧٨٠ – القاهرة
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٤٨٣/ ٢٠٠٢
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-240-131-2
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

يُطلب من:
دار مجلة مـــــرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

القيامة والفداء
في المفهوم الأرثوذكسي

⌘◆✝◆⌘

يا للفرحة العظمى التي تُعيِّد بها الكنيسة لقيامة المسيح من بين الأموات، وهي تُردِّد بلا انقطاع هذه الأيام: "**خرستوس آنستي**".

فـ "خرستوس آنستي" بالنسبة للكنيسة معناها: إنه قد كَمُل الفداء، وإنه قد صار حقًّا من حقوق كل الخطاة أن يستلموا بالإيمان وبلا ثمن صكَّ الحرية والخلاص من عبودية الخطية والموت، وقبول الدعوة للحياة الأبدية.

ولكي نحصل على إيمان بالقيامة له هذه القوة، يلزم أن ندخل في عمق إيمان الكنيسة الذي يربِّط ربطاً شديداً: **بين سرِّ العشاء في مساء الخميس، وبين سرِّ الصلبوت في يوم الجمعة، وبين سرِّ القيامة في فجر الأحد.**

العلاقة السرِّية بين قيامة المسيح وسر عشاء خميس العهد:

ففي العشاء مساء الخميس كشف الرب لأول مرة عن معنى وحقيقة الصليب القادم الذي طالما تكلَّم عنه باعتباره آلاماً كثيرة وموتاً وحسب، ولكن فجأة وهو على العشاء أوضح بمنتهى الاختصار والسرِّية أنه سيُقدِّم نفسه ذبيحة عن العالم وأنَّ هذه الذبيحة **ستُقدَّم لله**

الآب كاملة، كذبيحة الفصح تماماً، جسداً مكسوراً يأكلونه ودماً مسفوكاً يشربونه لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية.

ولكن الذي أدهش التلاميذ على العشاء والذي لا يزال يُدهِش العالم كله، أن المسيح في عشاء الخميس لم يكن يشرح نظرياً كيف سيُذبح يوم الجمعة؛ بل استبق الحوادث، إذ قبل الصليب بيوم كامل قدَّم نفسه لتلاميذه مذبوحاً ليس كمجرد عمل من أعمال النية وللتوضيح، ولكن كفعلِ كَسْرٍ وذَبْحٍ وسَفْكٍ فعلي أكثر وأعمق وأوضح مما حدث يوم الجمعة على الصليب، بحيث أنَّ كل أسرار تقديم المسيح نفسه ذبيحة على الصليب يوم الجمعة والتي يستحيل أن يراها أو يفهمها إنسان على الأرض، بادر المسيح في عشاء الخميس وكشفها وأوضحها لتلاميذه عملياً.

فالمسيح بعد ما كسر الخبز ومزج الخمر، قدَّمهما لتلاميذه لا بصفتهما مجرد تمثيل أو رمز لكسر جسده وسَفْك دمه على الصليب؛ بل قال لهم: ”**هذا هو جسدي المكسور. هذا هو دمي المسفوك**“. **فهنا أحدث المسيح فعلَ ذَبْحٍ إرادي بسر لا يُنطق به.**

ثم أعلن سبب كسره أو ذبحه وهو: ”**عنكم**“؛ ثم كشف لماذا سيُذبح عنهم، إذ قال لهم: ”**لمغفرة الخطايا**“.

ثم وأكثر من هذا كله، إذ بعدما أكمل فعل الكسر والسفك الفعلي لجسده ولدمه بالسر، أمرهم أن **يأكلوا منه ويشربوا**، لا كخبز مكسور أو خمر ممزوج بعد؛ بل: ”**جسداً مذبوحاً**“ فعلاً،

موضِّحاً بهذا **أنَّ سر يوم الجمعة حاضر أمامهم كفصح إلهي حقيقي. فموت الصليب يوم الجمعة لن يكون مجرد تقدمة للآب عن خطايا العالم وحسب، بل ذبيحة حب وعشاء دائم يأكل منها العالم كله.**

وبهذا كشف المسيح في عشاء الخميس بكل وضوح وعلانية أن ذبيحة نفسه التي سيضعها على الصليب هي هي ذبيحة الكفَّارة التي لا يُقدِّمها أمام الله الآب بفعل تلقائي عن الناس وحسب؛ بل **ذبيحة حب شخصي لا تتم الكفَّارة فيها إلاَّ بالاشتراك الفعلي فيها.** وهكذا شرح المسيح في سرِّ عشاء الخميس **أن الشركة الفعلية الكاملة في الإيمان بالمسيح المصلوب كذبيحة للخلاص وغفران الخطايا، لابد أن يحقِّقها الأكل الفعلي من الجسد والشرب من الدم بحسب السرِّ الذي تمَّمه في عشاء الخميس، وبذلك فقط تتم الكفَّارة ويتم الغفران ويتم الاتحاد بالمسيح للامتداد في الحياة الأبدية.**

سر الإفخارستيا وصَلْب المسيح، سرٌّ واحد:

بهذا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية أن عشاء الخميس الذي هو الإفخارستيا، وصلبوت يوم الجمعة؛ هما سرٌّ واحد لا يمكن إدراك الواحد بدون الآخر، ولا يمكن نوال سر قوة الواحد منهما بدون الآخر، والحب كان هو الدافع لهما كليهما. فعندما جلس المسيح للعشاء قبل عيد الفصح، قال عنه يوحنا الإنجيلي: «وهو عالِمٌ أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان **قد أحب خاصته** الذين في العالم، **أحبهم إلى المنتهى**» (يو ١٣ : ١)!! هذا الحب مات به يسوع، وبه أيضاً قام!!

ولكن مرة أخرى عندما نتعمَّق في أسرار عشاء يوم الخميس نرى الإعلان عن سرِّ القيامة ضمن الإعلان عن سرِّ موته واضحاً غاية الوضوح، إذ بينما **يُقدِّم المسيح نفسه** لتلاميذه ويقول لهم: "خذوا كُلُوا جسدي مكسوراً، وخذوا اشربوا دمي مسفوكاً"، **يُقدِّمهما بنفسه** ليس ميتاً بل حيًّا، **وبيديه.** فالمسيح في سرِّ عشاء يوم الخميس كان مذبوحاً وقائماً معاً، ميتاً وحيًّا معاً. هذا السرُّ مدهشٌ، إذ استطاع المسيح أن يكشف به بكل قوة، وإنما في سرٍّ عجيب، عن القيامة المحقَّقة والكائنة في الموت المزمع أن يتم على الصليب يوم الجمعة!! «**أنا هو الأول والآخِر، والحيُّ وكنتُ ميتاً، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين.**» (رؤ ١:١٧و١٨)

سر الإفخارستيا أعلن قوة القيامة بالبشرية:

وبهذا ندرك عظمة الإفخارستيا التي أكملها المسيح في عشاء الخميس، والتي تكملها الكنيسة حتى اليوم، باعتبارها السر الذي يشرح ليس فقط أسرار الصليب يوم الجمعة؛ بل سر المسيح الميت الحي، وسر الفداء بكامله وبكلِّ دقائقه، باعتبار أن الموت الذي حكموا به على المسيح لم يكن إلاَّ ذبيحة حب إرادية وكفَّارية تحمل في مضمونها **قوة الموت عن الآخرين، وقوة القيامة بالآخرين**، وأنها بناءً على ذلك ذبيحة قادرة أن تعطي عِوَض الموت عن خطايا الماضي **الحياةَ الأبدية**، وذلك بما تحمله هذه الذبيحة من سرِّ الشركة المفتوحة على الإنسان، الشركة في جسد ودم المسيح المذبوح والقائم.

بهذا فهمت الكنيسة أن الموت على الصليب كان ذبيحة حيَّة

مُحيية، بآن واحد، كفَّارية وقادرة أن تُقيم من الموت أيضاً؛ **هذا كله فهمته الكنيسة عَبْرَ أسرار سرِّ العشاء.**

وهنا أيضاً تعود الكنيسة إلى أسرار العشاء الأخير وتكشف عن حقائق جوهرية بالنسبة لحوادث يوم الجمعة!

فالصليب لم يكن للمسيح آلة موت وتعذيب له كخاطئ ومُجدِّف: «اصلبه، اصلبه» ـ كما توهَّمه وكما انتهى إليه رؤساء الكهنة ـ بل كان في عِلْم الآب وفي أعماق المسيح أداة بَذْل بدافع حب فدائي جارف بمقتضى ما أدركته الكنيسة من أسرار العشاء الأخير وأحاديث المسيح السرِّية في إنجيل القديس يوحنا. ألم يسبق ويكشف عن نوعية موته؟ «ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه.» (يو ١٥:١٣)

الصليب تحوَّل بالقيامة إلى أداة فعَّالة للحب الإلهي:

وهكذا تحوَّل الصليب بواسطة القيامة من **مفهوم العقوبة والموت في يد الصالبين** إلى **أداة فعَّالة للحب الإلهي في يد الراعي الصالح الذي فدى خرافه**، والذي لا يزال يذهب وراء الخروف الضال إلى أقصى الأرض. أيُّ مكان أيها الأحباء لا يوجد فيه صليب مرفوع؟ صليب يبحث عن الخطاة ليردَّهم إلى حظيرة الآب؟ لقد صار الصليب آلة فرح لكل مَن أدرك سرَّ الغفران الذي فيه، بل سر الحب الإلهي: «**الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي.**» (غل ٢: ٢٠)

هكذا فالمسيح لم يَمُتْ إلاَّ لكي يُقدِّم نفسه ذبيحة عن خطاة

الأرض كلها، ثم مِن خلال هذه الذبيحة يُعطي جسده المكسور ودمه المسفوك لكل إنسان على غرار يوم الخميس ليأكل ويشرب غفراناً وقيامة وحياة أبدية.

فالمسيح لا يزال يُمارِس في كل كنيسة وبين أحبائه سرَّ عشائه. فعلى كل مذبح يُقدِّم بيديه ـ مثل عشاء الخميس تماماً ـ جسده ودمه للمتناولين غفراناً للخطية وحياة أبدية، حيث صار سر الإفخارستيا الآن حاملاً لنا كل قوة عشاء الخميس من حب بلغ المنتهى، مع كل قوة الآلام التي تحمَّلها على الصليب، مع قوة القيامة التي قام بها الجسد تاركاً القبر فارغاً.

ولكن لا يغيب عن بالنا، أيها الأحباء، أن مثل هذه المعاني العميقة المذخرة في سرِّ عشاء الخميس، وكل النور المضيء الذي انبعث منها ليكشف مجد الصليب؛ لم يدركها التلاميذ **قط إلاَّ بعد أن تحقَّقوا من قيامة المسيح**، فأثناء العشاء لم يفهم التلاميذ شيئاً بالمرة من كل ما قاله وشرحه الرب. لقد مرت عليهم كلمات المسيح عن العهد الجديد والدم المسفوك وغفران الخطايا والحياة الأبدية كأنها بلا معنى؛ بل يقول لهم المسيح: «قد ملأ الحزن قلوبكم» (يو ١٦:٦). ولما حضرت الساعة وبدأت إجراءات القبض وواجهوا خروج القضية وإعلان الصليب، انزعجوا وهربوا، وبعضهم أنكر بالرغم من كل ما سبق وأعلنه المسيح لهم، وكأن المسيح لم يُقِمْ إفخارستيا ولا غسل أرجلهم ولا تكلَّم ما لا يقل عن ست ساعات متوالية ـ بحسب توقيت إنجيل القديس يوحنا ـ عن موته وعن قيامته وعن عودته وإرساله المعزِّي،

وأنه لن يتركهم يتامى وكيف سيراهم وسيفرحون، كل هذا تبخَّر أمام رُعبة العنف وظهور جند رؤساء الكهنة وإجراءات القبض.

القيامة بالنسبة للصليب هي أساس وقمة معاً:

لذلك تقع القيامة في لاهوت الكنيسة عن مفهوم الصليب ــ الذي هو ذبيحة إرادية للتكفير عن خطايا العالم كله ــ **تقع موقع الأساس والقمة معاً**. إن سر القيامة كحقيقة إيمانية ملموسة كان كنور بهي سمائي، عندما دخل قلب التلاميذ قَلَبَ كل أحزان الصلبوت المهينة والموجعة إلى كرامة وعزة ونصرة ومجد. فالموت صار فداءً، والقبر الفارغ صار منبع حياة بعد أن كان مستودع موت.

لذلك كان ليس بلا سبب ما قاله بولس الرسول: «**إن لم يكن المسيح قد قام فباطلٌ إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم**» (١كو ١٥:١٧). ولكن الحقيقة الأكثر أهمية في لاهوت الكنيسة، والكنيسة تؤمن بالفعل أنه قام، هذه الحقيقة هي: "**إن كان المسيح قد قام، وقيامته صارت فينا حقيقة؛ فإيماننا حقٌّ ونحن لسنا بعد في خطايانا**". أي أن **قيامة المسيح** التي قامها بالجسد في اليوم الثالث صارت هي القوة الأساسية الفعَّالة في مغفرة الخطايا. وبالتالي فالقيامة هي في عُرف الكنيسة عماد مفهوم الكفَّارة، أي لا نستطيع أن نقول إن الموت الذي ماته المسيح هو ــ بحدِّ ذاته ــ دَفْع لثمن خطايانا واسترضاء الله لرفع غضبه عنا. **فالقيامة هي التي جعلت موت المسيح له القوة والكفَّارة والمصالحة**.

لذلك حينما نعود إلى نشيد الكنيسة المبهج: "خرستوس آنستي"، ندرك لماذا هذه البهجة الطاغية التي ألغت كل أحزان الصليب وآلامه؛

بل وألغت من كياننا بالفعل كل أوجاع الخطية والموت! لأنه إن كان المسيح قد قام، فإيماننا حقٌّ ولسنا بعد في خطايانا، وصليبه هذا إنما كان مجداً وليس عاراً، **وجسده ودمه الذي نأكله ونشربه إنْ كان هو جسد صليبه فهو جسد قيامته أيضاً، ولنا فيه شركة في القيامة عينها بكل تأكيد مع حياة أبدية.**

بل وإن كان الموت دُفِع ثمناً لخطايانا، فالقيامة زادت هذا الثمن بأنْ جعلته ثمناً **مقبولاً**، ومقبولاً **علناً ودائماً** في السماء والأرض!!

لذلك ما أحوجنا الآن إلى قيامة بنفس القوة والعلانية التي استعلنها التلاميذ في اليوم الثالث، لتلغي كل مفهوماتنا الخاطئة عن الخوف من الآلام والصليب، ولتكون بداية لإيماننا والقوة التي نستمد منها قدرتنا لا على فهم قوة صليب المسيح على مغفرة خطايانا وحسب؛ بل وعلى تحمُّلنا لآلام الصليب عينها بكل فرح، حتى لا تصبح الآلام فيما بعد آلاماً بل شركة في مجد، كما اكتشف ذلك بولس الرسول قائلاً: «إن كنا **نتألَّم** معه لكي **نتمجَّد** أيضاً معه.» (رو ٨:١٧)

غاية التجسُّد إعادة الحب والحياة الأبدية:

هكذا أصبحت القيامة في عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية تقوم كأساس لعمل الفداء الذي كان في قلب المسيح منذ الابتداء، أي لم يكن الفداء مجرد أن يدفع المسيح ثمن خطايا البشرية وحسب، أو مجرد أن يرفع غضب الله عن العصاة الذين صاروا عبيداً للإثم وحسب؛ ولكن **الفداء كان يعني عند المسيح بالدرجة الأولى شيئاً فوق الغفران والمصالحة، وهو أن يعيد للإنسان الحب والحياة الأبدية التي**

فقدها بالتعدِّي والانفصال عن الله. وهذا كان يُعتبر من مضمون مفهوم التجسُّد أصلاً، كما فهمه آباء الكنيسة مثل القديس أثناسيوس الذي يقول:

[إن الكلمة صار إنساناً حتى نصير نحن آلهة فيه (أي شركاء في الطبيعة الإلهية)].

فغاية التجسُّد لم تقف أبداً عند كفَّارة الصليب والفداء بالدم عند آباء الكنيسة الأرثوذكسية[1]**، بل تجاوزتها دائماً إلى القيامة لتجديد الإنسان كغاية عظمى للتجسُّد.** لماذا؟ لأن الإنسان لم يقف عند حدِّ السقوط في الخطية وحسب، ولم ينته إلى حالة الفُرقة عن الله والوقوع في الغضب الإلهي وحسب، حتى إذا رُفعت خطاياه أو صولح مع الله عاد إلى حالته الأولى. ولكن يا للحزن والمرارة، فقد تعدَّى الإنسان ذلك كله إلى فقدان مواهبه وتشوَّهت صورة الله فيه، بمعنى أنه فَقَدَ قدرته نهائياً على معرفة الله وحبه، وبالتالي **فَقَدَ القدرة على العودة للحياة مع الله بأي وسيلة سواء كانت بالتطهير أو بالمعرفة أو بالتعليم.**

هذا نسمعه من المسيح نفسه عندما أثار هذه القضية مع نيقوديموس معلِّم الناموس، عندما قال له: «ينبغي أن **تُولَدوا من فوق ("تُولَدوا ثانية")**... إن كان أحدٌ **لا يُولَد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله**» (يو ٣:٧و٣). أي أن المسألة ليست دَفْع دَيْن خطايا وحسب،

---

(١) يقول بعض العلماء المشغولين بالمقارنة بين قدِّيسي الغرب وقدِّيسي الشرق أن قدِّيسي الغرب دائماً يحملون جراح الصليب، أما قدِّيسو الشرق فدائماً يضيئون بتجلِّي القيامة.

بل الأمر يحتاج إلى تجديد خلقة الإنسان!!

قيامة المسيح أعطت البشر الخلقة الجديدة:

قيامة المسيح من بين الأموات بنفس الجسد الذي مات به، يُعطي الرد العملي والجواب الإلهي عن **كيفية الميلاد الجديد للإنسان كخليقة جديدة، فقدرة المسيح على إعادة الحياة للإنسان بقيامته من بين الأموات صارت هي رجاء الكنيسة الأعظم منذ يوم القيامة حتى الآن.**

فالمسيح بقيامته حيًّا منتصراً على الموت، وليس على الخطية فحسب، فتح الباب لأول مرة وإلى الأبد لدخول الإنسان مرة أخرى إلى ملكوت الله، أي إلى الحياة الأبدية بعد أن دفع ثمن خطاياه على الصليب.

هكذا فإن **قيامة المسيح تكشف لنا عن الدافع القوي الذي من وراء الصليب.** فالذبيحة التي تمت بكل رضا الابن وبكل مسرة الآب الذي سحقه بالحزن، كان وراءها تعطُّفاتٌ أبوية ومحبة فائقة من الرب يسوع نحو الخطاة والبشرية كلها، **لا لكي تُغفر لهم خطاياهم وحسب؛ بل لكي تخلقهم جديداً فيه وبروحه**، وليُقدِّمهم معه في حبه للآب أيضاً بعد أن يغتسلوا في دمه، يُقدِّمهم في قيامته وجلوسه عن يمين الآب ليكونوا بلا لوم أمام الله أبيه في المحبة، ليكونوا خليقة جديدة تتنفس بروح الله، محبوبين مثله، أو بحسب تعبير المسيح نفسه: «**ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به.**» (يو ١٧: ٢٦)

لذلك تعتبر الكنيسة الأرثوذكسية أن الفداء استمر حتى إلى ما بعد دخول المسيح الأقداس العُليا: «**دخل مرةً واحدة إلى الأقداس**

(كسابقٍ لأجلنا) فوجد (لنا) فداءً أبدياً.» (عب ٩: ١٢)

محبة الله هي الدافع للصليب والقيامة والصعود:

وهكذا يمتد لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية مُركِّزاً على محبة الله كدافع أساسي حتى النهاية من الصليب إلى القيامة ثم إلى الصعود؛ بل إلى الدخول إلى الأقداس العُليا والجلوس عن يمين الآب حتى يضمن التكميل النهائي للفداء! فالمسيح حيٌّ إلى الآن، حتى وبعد أن أكمل الموت عنا وبرَّرنا بدمه، لا يزال بدالة الحب الذي أكمل به الفداء يشفع فينا أمام الله أبيه، حتى لا يقع علينا أي غضب أو لوم بسبب جهالتنا وتعدِّياتنا اليومية: «ولكن الله **بيَّن محبته لنا**، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. **فبالأولى كثيراً ونحن مُتبرِّرون الآن بدمه نخلُص به من الغضب.**» (رو ٥: ٨و٩)

لذلك كم نخطئ، أيها الأحباء، الآن بعد أن تمَّ هذا الخلاص العجيب المجيد بكل مراحله، حينما نفرِّق بين الصليب والقيامة في أنفسنا فنجعل الصليب في قلبنا وذهننا منطقة حزن وعار، نتحاشاه ونجزع منه، في حين نجعل القيامة تهليلاً ومجداً نرجوها ونطلبها. **أليست القيامة هي ثمن الصليب، والصليب هو ثمن القيامة؟** والاثنان كانا مجداً واحداً للرب يسوع ولنا؟

ألم يكن الصليب في نظر الآب هو مجد المسيح الحقيقي، بينما كان المسيح مُعلَّقاً عليه وحوله العار من كل جانب؟

ألم يكشف عن ذلك المسيح نفسه في صلاته الخاصة للآب بعدما

خرج يهوذا ليُكمِّل الخيانة والتسليم وتيقَّن المسيح أن ساعة الصليب صارت على الأبواب؟ «فلما خرج قال يسوع: الآن تمجَّد ابن الإنسان وتمجَّد الله فيه. إن كان الله قد تمجَّد فيه، فإن الله سيُمجِّده في ذاته، ويُمجِّده سريعاً.» (يو ١٣: ٣١و٣٢)

هذه كانت هالة المجد التي رآها يسوع مُسْبقاً تحيط به وهو على الصليب وفي القيامة بقدرٍ واحد!!

القيامة أثبتت أن الصليب كان نابعاً من محبة الله نحو الخطاة:

الكنيسة الأرثوذكسية تُدرك بحاسة لاهوتها المرهفة أن المسيح أخضع نفسه للموت مع أنه غير خاضع له البتة. فالقيامة كانت حاضرة فيه، ولم يسمح بأن يُصلب أو يموت إلاَّ بقدر ما التزم هو به من نحو المحبة للخطاة: «ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣)، وما ألزمته به طاعته للآب: «أطاع حتى الموت موت الصليب.» (في ٢: ٨)

من أجل هذا يقول الكتاب وتقول النبوَّات: **إنه كان من المستحيل أن يُمْسَك في القبر، فالقيامة هنا جاءت لتؤكِّد موته الإرادي!!**

كم مرة أشار المسيح إلى هذه النقطة الحسَّاسة الجوهرية: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها (أقوم) أيضاً» (يو ١٠: ١٨)، «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها» (يو ١٨: ١١)، «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧). وحينما حاول بيلاطس أن يُظهِر تفوُّقه على "ملك اليهود"، بأنه قادر أن يصلبه وقادر أن يُطلقه؛ اعترض

عليه المسيح في الحال: «لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتَّة **لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق.**» (يو ١٩ :١١)

لقد أكمل بيلاطس عمله وتمَّم لرؤساء الكهنة مشتهى قلبهم وصَلَبَ لهم يسوع كما أرادوا، وكما أراد الشيطان تماماً أن يكون، حتى يصبح الصليب عاراً للمسيح ونقمة نهائية وتتخلَّص منه الأُمة اليهودية إلى الأبد، ولكن الرب بقيامته المنتصرة من بين الأموات بدَّد كل خطتهم التي أحكموها مع رئيس هذا العالم وسلطان الظلمة، وقَلَبَ الوضع فصار الصليب للمسيح ولكل مَن يؤمن بالمسيح مجداً وسلاماً، وصار الصليب للشيطان ولكل مبغضي اسم المسيح عاراً ورُعبة!

القيامة أجلست المسيح في السموات ملكاً للملوك ورباً للأرباب وسيداً للدهور كلها، وجعلت موت المسيح كفَّارة ليس فقط لمغفرة الخطايا ومصالحة العالم مع الله؛ بل وأيضاً تجديداً للخليقة البشرية، **وتحوُّلاً جذرياً في صميم طبيعة الإنسان من حياة مادية حسب الجسد لحياة روحية حسب الروح، إعداداً للفاسد لكي يلبس عدم الفساد منذ اليوم، وللمائت لكي يلبس عدم الموت منذ الآن**، حسب قول القديس يوحنا في سفر الرؤيا: «**مَن هو مُقدَّس فليَتقدَّس بعد.**» (رؤ ٢٢ :١١)

لأن سيرتنا في المسيح يسوع هي منذ الآن تُكتب لنا في السماء، في جدَّة الروح لنملك مع المسيح. وكل أعمال الكنيسة اليومية صارت معروفة ومقروءة لدى كل السمائيين، لأن المسيح الجالس عن يمين العظمة في السموات هو أيضاً ملك القديسين لكنيسة السماء، وهو هنا للكنيسة على الأرض رأسها وعريسها، كما يقول بولس الرسول:

«لكي **يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويَّات، بواسطة الكنيسة**، بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ١٠و١١)؛ سواء كان في سرِّ العماد عندما يتم الموت مع المسيح والقيامة مع المسيح لنوال الميلاد الجديد الذي يؤهِّلنا لدخول ملكوت السموات ورؤياه منذ الآن، أو في سرِّ الشكر عندما يُستعلَن جسد المسيح ويحل الروح ويشترك المؤمنون في الذبيحة، ويُبشِّرون بموته ويعترفون بقيامته تمهيداً لنوال شركة قيامته.

لذلك كل مرة تنشد الكنيسة "خرستوس آنستي"، إنما تردِّد أصداء استجابتها في السماء وسماء السموات من ألوف وربوات القدِّيسين: **"حقًّا قام"!**

• غاية التجسُّد لم تقف أبداً عند كفَّارة الصليب والفداء بالدم عند آباء الكنيسة الأرثوذكسية، بل تجاوزتها دائماً إلى القيامة لتجديد الإنسان كغاية عظمى للتجسُّد... فقدرة المسيح على إعادة الحياة للإنسان بقيامته من بين الأموات صارت هي رجاء الكنيسة الأعظم منذ يوم القيامة حتى الآن.

• قيامة المسيح تكشف لنا دافع القوي الذي هو وراء الصليب. فالذبيحة التي تمت بكل رضا الابن وبكل مسرَّة الآب الذي سحقه بالحزن، كان وراءها تعطُّفاتٌ أبوية ومحبة فائقة من الرب يسوع نحو الخطاة والبشرية كلها، لا لكي تُغفر لهم خطاياهم وحسب؛ بل لكي تخلقهم جديداً فيه وبروحه...

الثمن جنيه واحد